



أمور تكسبك محبة الرسول الكريم

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2019-11-11

عمان

الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين.

محبة رسول الله فرض واجب لازم على كل مسلم :

وبعد فيا أيها الأخوة الكرام، محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض واجب لازم على كل مسلم:

{ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَوَالِدَيْهِ وَوَالِدِيهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }

(رواه البخاري ومسلم)



محبة رسول الله فرضٌ واجبٌ لازمٌ

وأمسك يوماً بيدي سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: يا رسول أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي- انظروا إلى صراحة عمر رضي الله عنه- فقال صلى الله عليه وسلم: لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك، ثم قال: الآن يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى نفسي التي بين جنبي، فقال صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر، أي الآن اكتمل الإيمان، الآن أفلحت، الآن سعدت.

{ كُنَّا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ }

(رواه البخاري)

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضٌ واجبٌ على كل مسلم، لأننا إن لم نحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قصرنا في مقتضيات الإيمان، ولا يمكن لإنسان أن يتبع، وأن يهتدي إلا بمن يحب، لذلك كانت محبته صلى الله عليه وسلم فرضاً علينا جميعاً.

خمسة أمور تكسبنا محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : 1 - اتباع سنته :



يجب أن تصح المحبة واقعاً في حياتنا

هذه خمسة أمور تكسبك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلنا نحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلنا نتحرق شوقاً له، وشوقاً إلى لقائه، ونحتاج أن نتنقل من التحرق إلى التحرك، التحرق جميل، مشاعر، عواطف، وهي شيء رائع جداً، لكن نحتاج ألا نكون فقط من الذين يتحرقون بل أن نكون من الذين يتحرقون فيتحركون فيتبعون فيفعلون، أن تصح المحبة واقعاً في حياتنا، اليوم لو جمعت مليار مسلم وسألتهم: هل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليك أم نفسك أحب إليك؟ سيقول لك: بل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا نظرت في السلوك وجدت أنه يؤثر مصلحة نفسه على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي محصلة الأمر هو يحب نفسه أكثر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهنا المعادلة التي ينبغي أن تنتبه إليها.

هذه خمسة أمور تكسبك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولاً: اتباع سنته ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

(سورة الحشر: الآية 7)

وكيف نأخذ ما أمرنا به وكيف نتنهي عما نهانا عنه إن لم نتعلم سنته؟ إذا لا بد أن نتعلم سنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى نأتمر بما أمر، ونتنهي عما عنه نهى وزجر.

{ كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مِنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشُّعَابِ وَالْأودية، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ تَفَرَّقَكُمْ فِي الشُّعَابِ وَالْأوديةِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ"، فلم يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَقَالَ لَوْ بَسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ- أي لو أُلْقِيَتْ عَلَيْهِمْ ثَوْبًا لَشَمَلَهُمْ جَمِيعًا التَّرَامًا مِنْهُمْ بِتَنْفِيزِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- }

(أبو داود عن أبي ثعلبة الخشني)

و:

{ عَنْ حَمْرَةَ بِنِ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرَّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ- أثناء الخروج من المسجد - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ: "اسْتَأْجِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْفُقْنَ الطَّرِيقَ- أي ليس من شأن المرأة أن تزاحم الرجال في وسط الطريق، حياؤها يجعلها تأخذ طرف الطريق - عَلَيَّكَنَّ يَخَافَاتِ الطَّرِيقِ" فَكَاتَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ تَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ- امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم- }

(رواه أبو داود)

و:

{ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ ثَعْلَبِيهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ بَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْفَوْا يَغَالَهُمْ، فَلَمَّا فَصَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ قَالَ: مَا حَمَلَكُمُ عَلَى الْإِقَاءِ يَغَالِكُمْ؟ - انظروا إلى دقة الجواب وفقه الجواب- قَالُوا: رَبَّنَا كَ أَلْقَيْتَ ثَعْلَبِيكَ فَأَلْقَيْنَا يَغَالَتَا- نحن هكذا نضع، نضع، أنت خلعت نحن خلعنا، الآن بين لهم الحكم العام - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ جِبْرِيْلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَدْرًا أَوْ قَالَ أَدَى، وَقَالَ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي ثَعْلَبِيهِ قَدْرًا أَوْ أَدَى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا- فبين صلى الله عليه وسلم الحكم العام- }

(أخرجه أبو داود)

أما أغرب ما في الاتباع كما في الصحيح:

{ لَمَّا اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَالَ: اجلسوا. فسمع ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرأه رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال: تعال يا عبد الله بن مسعود }

(صحيح أبي داود)

ابن مسعود رضي الله عنه دخل إلى المسجد، فكان على باب المسجد أي لم يدخل بعد، هو قادم إلى المسجد، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب بأصحابه يوم الجمعة، فقال: اجلسوا مكانكم، يخاطب أصحابه الذين هم داخل المسجد، فما كان من ابن مسعود رضي الله عنه إلا أن جلس في مكانه خارج المسجد، فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: تعال يا بن مسعود.



علة أي أمر في القرآن أو السنة أنه أمر

أنت ادخل ثم اجلس، أمّا الخطاب فهو لمن هم داخل المسجد، لماذا فعل ابن مسعود ذلك؟ لأن ابن مسعود عود أذنيه ألا تسمع أمراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بادرت إلى تنفيذه، ما أوجنا اليوم إلى فقه ابن مسعود، أن نقول هكذا قال رسول الله، هكذا قال، انتهى، استسلمنا، ربما نتصح لنا الحكمة، ربما نسأل عن الحكمة لكن لا نعلق ولا نربط بين الحكمة وبين تنفيذ الأمر، لذلك قال الفقهاء: علة أي أمر في القرآن أو السنة أنه أمر.

أحياناً تسألني ابنتي الصغيرة في البيت: بابا نحن لماذا لا نأكل لحم الخنزير؟ أقول لها: لأن الله أمرنا ألا نأكل لحم الخنزير، لا أقول لها: إن لحم الخنزير مضر، بل لأن الله أمرنا ألا نأكل، لماذا لا نشرب الخمر؟ لأن الله حرم الخمر، أي يكفي أن يكون الله تعالى الذي هو إلهنا وربنا وخالقنا قد أمر فنتأمر.

الإنسان إذا كان مع طيب يستسلم فكيف مع أمر الله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! لكن بعد ذلك قد تتصح الحكم، لا مانع من أجل أن نعزز الإيمان نقول: إن من حكم تحريم الخمر أنه مضر بالصحة، مُذهب للعقل، العلة بعد أن نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر، نفذ أولاً، التنفيذ أولاً، انظروا الآن سافرون بين أمرين وتنفيذين، إبراهيم عليه السلام أمر أن يذبح ابنه، ابنه النبي، لما بلغ معه السعي ليس وهو صغير، بعد أن رآه شاباً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ

(سورة الصافات: الآية 102)

(قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) بادر فوراً، لم يسأل ما الحكمة؟ ما العلة؟ لماذا أذبح ابني؟ أبداً، بالمقابل بنو إسرائيل أمروا أن يذبحوا بقرة، ليس ابنهم بل بقرة، ما لونها؟ ما هي؟ آخر شيء :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ

(سورة البقرة: الآية 71)



لَمَّا يَعْظُمُ الْأَمْرُ يَعْظُمُ الْأَمْرُ فِي عَيْنِكَ

أي ما كانوا يريدون أن يفعلوا، سؤال وسؤال وسؤال، ثلاثة أسئلة حتى وصلوا إلى بقرة ليس هناك غيرها في الأرض، أي تعجيز، فعندما نقول: إبراهيم عليه السلام هذا النبي كيف بادر إلى ذبح ابنه وهؤلاء كيف لم يبادروا لذبح بقرة؟ لأن إبراهيم عليه السلام كان الأمر عنده عظيماً، فإذا أمر الأمر وهو عظيم في عينك تبادر إلى تطبيق أمره دون أن تسأل عن شيء، لَمَّا يَعْظُمُ الْأَمْرُ يَعْظُمُ الْأَمْرُ فِي عَيْنِكَ، لذلك قيل: (لا تنظروا إلى صغر الذنب ولكن انظروا على من اجترأتم) لا تقولوا: ذنب صغير، أنت اجترأت على خالق الأكوان، فعندما نقول: اتباع؛ ما أحوجتنا اليوم إلى فقه ابن مسعود في الاتباع، اتباع سنته، هذا مما يزيد في محبته، بل أقول إن كلاً منها متعلق بالآخر، فمحبتك له تزيد اتباعك له، واتباعك له يزيد من محبتك له صلى الله عليه وسلم، أي بينهما علاقة:

إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ

فأولاً: اتباع سنته، نحن بحاجة إلى الاتباع اليوم؛ أن نتبع هديه صلى الله عليه وسلم في كل شؤون حياته.

2 - قراءة سيرته :

خمسة تكسبك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولاً: اتباع سنته، ثانياً: قراءة سيرته، السيرة من أجل الأفعال، والسنة من أجل الأقوال أكثر، السيرة هي التعبير العملي عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: القصة حقيقة مع البرهان عليها، قد أحدث ابني عن مخاطر التدخين، هذا كلام نظري، وقد أتته بقصة عن مدخن أصابه ما أصابه بسبب التدخين، الثانية أبلغ من الأولى، لأن الثانية فيها أشخاص، فيها وقائع، فقالوا: القصة حقيقة مع البرهان عليها، فالسيرة هي البرهان العملي على حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(سورة الأحزاب: الآية 21)

وكيف نتأسى به صلى الله عليه وسلم إن لم نقرأ سيرته؟! والأسوة أخواننا الكرام كيف نتحقق؟ أولاً نتحقق لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

(سورة الكهف: الآية 110)

وفي الحديث كما في صحيح مسلم:

{ إِمَّا آتَا بَشَرًا، أَرْضَىٰ كَمَا يُرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَعْصَبُ كَمَا يَعْصَبُ الْبَشَرُ }

(صحيح مسلم)



النبى الكريم تجرى عليه خصائص البشر

ولو لم يكن بشراً لما أمرنا بالتأسي به، لأنه كان هناك للخلق حجة على الخالق، لقال الخلق: يا الله كيف تتأسى به وهو ملكٌ من الملائكة ونحن بشر نغضب ونرضى ونعيش ونشتهي ونحب، فحالنا غير حاله؟ لكن أمرنا بالتأسي به بعد أن قال لنا إنه بشر صلى الله عليه وسلم، لكنه صلى الله عليه وسلم إنتصر على بشريته فكان سيد البشر، إنتصر على بشريته، هو اشتهى كما نشتهي لكنه وجه الشهوة ضمن الحلال، هو رضى لكن رضى لله، هو غضب لكن غضب لله، هو أحب لكن أحب لله، فكان سيد البشر، فتتحقق الأسوة به صلى الله عليه وسلم في أنه بشرٌ معصوم.

حياة النبي صلى الله عليه وسلم متعددة المواقف و الأحداث :



النبى الكريم ذاق الفقر

ثم هنا أريد أن أفصل قليلاً، شاءت حكمة الله تعالى أن تكون حياته متعددة المواقف، ومتعددة الأحداث، بحيث لا يجري مع أحدنا حدثٌ في الحياة إلا وجد نظيراً أو قياساً له في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، الواحد منا قد يعيش حياته غنياً، وقد يعيشها فقيراً، الفقير ممتحن بقره، والغنى ممتحن بغناه، قد يعيش حياته قوياً فيمتحن بقوته، أو ضعيفاً فيمتحن بضعفه وهكذا، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ذاق الفقر حيناً، وذاق العنى حيناً آخر، وذاق الضعف حيناً، وذاق القوة حيناً آخر، وذاق مرارة الأسر، وذاق نعمة الحرية، وذاق نعمة الأمن، وذاق شدة الخوف، وذاق فقد الولد، وذاق مرارة أن يتكلم الناس في عرض زوجته الطاهرة المطهرة التي لا يبغضها إلا منافق، حياته سلسلة من المواقف، بحيث كل واحد منا يستطيع أن يجد فيها الأسوة له في أي موقفٍ يكون معه من مواقفه، وسأضرب أمثلةً: ذاق الفقر إلى درجة: أنه دخل بيته كما تروي عائشة رضي الله عنها فقال: يا عائشة هل عندنا شيء؟ أي شيء، ولو خبز يابس هذا شيء يؤكل، هل من شيء؟ أي شيء يؤكل، فقالت عائشة: لا يا رسول الله، هذه ما ذاقها أحد منا، أي أن يصل إلى مرحلة من الفقر بحيث لا يجد في بيته شيئاً يؤكل، نحن إذا دخلنا بيوتنا ربما تقول الزوجة: اليوم لا يوجد عندنا شيء، تقصد أنها لم تطبخ اليوم لكن بالمؤونة يوجد أكل لثلاثة أشهر، تقول: لا يوجد عندنا شيء يؤكل، أما النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأل هل عندنا شيء؟ فما قصد هل طبخت؟ قصد هل هناك شيء أكله؟ قالت: ما عندنا شيء، قال فإني صائم، هذا في الفقر.

{ عن عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم: يا عائشة هل عندكم شيء؟ فقلت: يا رسول الله، ما عندنا

شيء! قال: فإني صائم }

(أخرجه مسلم)

فلما ذاق الغنى صلى الله عليه وسلم، يقول إراوي الحديث: ما سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عن الإسلام إلا أعطاه، حتى جاءه بدوي فأعطاه غنماً بين جبلين، أعرابي فقير جاءه فأراد أن يكسب قلبه فأعطاه غنماً، مجموعة غنم بين جبلين أي مجموعة كبيرة من الغنم، فرجع إلى قومه قال: يا قوم أسلموا مع محمد فإنه يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة، لا يخشى الفقر صلى الله عليه وسلم، الفاقة هي الفقر.

{ ما سُئِلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على الإسلام شيئاً إلا أعطاهُ، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاهُ غنماً بينَ جبلين، فرجعَ إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة }

(رواه مسلم)



في قمة ضعف النبي كان رحيماً بمن أداه

إذا هنا فقر وهنا غنى، كيف وقف بالفقر؟ تجمل، إني صائم، ما غضب، لما ذاق قمة الغنى، وفتح الله عليه الفتوحات أعطى مما أعطاه الله، فكان أسوةً للفقير، وأسوةً للغني، بالضعف؛ ذاق الضعف صلى الله عليه وسلم، في الطائف هل هناك ضعف أشد من أن تذهب إلى أناس لتدعوهم إلى الله تعالى وحده ليودوه ويعبده لا تريد منهم لاجزاء ولا شكوراً، فما كان منهم إلا أن أسمعوه كلاماً قاسياً وأغروا صبيانهم وسفهاءهم ليضربوه بالحجارة حتى أوى إلى حائطٍ من بساتين الأنصار يحمي من بطشهم، هرب منهم من الطائف، وهنا في قمة الضعف يأتيه جبريل عليه السلام، قال صلى الله عليه وسلم: فإذا بغمامة- بغيمة- جبريل فيها يناديني يقول: إن الله سمع مقاتلتهم لك، وإن الله بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت، قال: فجاءني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: إن الله بعثني لأكون طوع أمرك إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين- الأخشبان الجبلان اللذان يقع الطائف بينهما - مكنه الله أن ينتقم من خصومه في لحظة واحدة، ليس بعدما استقر الأمر، لا، وهو في قمة ضعفه، الآن ما يزال الدم ينزف منه صلى الله عليه وسلم يقول: لا يا أخي عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يودعه ويعبده، وفي رواية اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، يعتذر عنهم لربه وهو في شدة الضعف:

{ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أتتها قالت للنبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هل أتى عليكَ يومٌ كانَ أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ، قال: لقد لقيتُ مِن قَوْمِكَ ما لقيتُ، وكانَ أشدَّ ما لقيتُ مِنهم يومَ العَقَبَةِ، إذ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابنِ عبدِ يَلِيلٍ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلمَ يُجِئني إلى ما أَرَدْتُ، فأنطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَجْهي، فلمَ اسْتَفِقْ إلا وأنا بقرنِ النَّعالِ بَرَقَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أطلَّتْني، فَنظَرْتُ فإذا فيها جِبْريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قال: يا مُحَمَّدُ، فقال، ذلكَ فيما شِئْتَ، إن شِئْتَ أنْ أَطِيقَ عليهمُ الأَخَشَبَيْنِ؟ فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بلْ أَرُجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أصْلابِهِم مَن يَعْبُدُ اللهُ وحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئاً }

(صحيح البخاري)



موقف النبي الكريم عند المصيبة

ثم نأتي إلى القوة، فتح الله عليه الفتوح، الآن عاد إلى مكة، مكة التي ناصبته العداة، التي أخرجته، التي كادت له، التي أخذت بيوت أصحابه وأموال أصحابه، مكة التي آذته إيداءً لا حدود له، رجع إلى مكة التي فعلت به الأفاعيل، فدخل مكة مطأطئاً رأسه حتى كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره تواضعاً لله تعالى، ما دخلها بنشوة المنتصر المنتقم، أنا جئتكم يا أهل مكة، أبداً، ثم قال: من دخل داره فهو آمن، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، من دخل المسجد فهو آمن، فجعله يوم مرحمة صلى الله عليه وسلم، إذاً هو ذاق الفقر فتجمل، ذاق الغنى فأعطى، ذاق الضعف فعفا، ذاق القوة فأكرم الناس، وعفا عنهم، هذه هي الأسوة، أنه في كل موقف من مواقف حياته فعل ما يقتضيه كماله صلى الله عليه وسلم، فقد الولد، يفقد ولده الذي هو بضعة منه، قال: دخلت عليه فإذا إبراهيم يجود بنفسه بين يديه- توفي- فيقول: إن القلب ليحزن، وإن العين لندمع، وأنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

{ دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ، وَكَانَ طَائِرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَسَمَّاهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرِقَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ }

(رواه البخاري)



النبي في قمة الألم ينتصر للتوحيد

شاء الله تعالى أن تنكشف الشمس في يوم وفاة إبراهيم، والعرب يعتقدون أن الشمس تنكشف لموت أحد، أو لحياته إكراماً له، الآن هو في قمة ألمه وحزنه ينتصر للتوحيد فيقف على المنبر ويقول: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، هو في قمة الألم ينتصر لمبدأ التوحيد، ما ترك الناس يتعلقون بأوهام لأنه ابن النبي صلى الله عليه وسلم فهو كسفت الشمس من أجله، لا، وقف وانتصر لقيمة العقل وقيمة العلم في الإسلام :

{ كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَضُلُوءًا، وَادْعُوا اللَّهَ }

تكلم الناس في عرض زوجته عائشة الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سماوات، فالنبي صلى الله عليه وسلم صبر وتحمّل، ما فعل شيئاً، ما أذاها، انتظر، قالت: كنت لا أعرف اللين الذي أعرفه منه صلى الله عليه وسلم، أي تغير لأنه يسمع الكلام في المدينة يثار حول زوجته هو ينتظر صلى الله عليه وسلم حتى جاء الوحي ببرأتها رضي الله عنها وأرضاها.

{ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّ حَدِيثِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ، فَأَلَتْ: فَاصْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا حَبِيئٌ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُبْرِئُنِي، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَطْرُقُ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي سَائِي وَحَيًّا يُنَلِّي، وَلَسَّائِي فِي تَفْسِي كَانَ أَحَقَّرَ مِنِ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُنَلِّي }

(صحيح البخاري)

أسر في شعب أبي طالب ثلاث سنوات حتى أكلوا أوراق الشجر، والنبي صلى الله عليه وسلم ما أثنته لا سبائك الذهب اللامعة، ولا سباط الجلادين اللادعة عن مبدئه وعن دينه، فلما تنعم بالحرية، وأصبح قائداً صلى الله عليه وسلم في المدينة أيضاً بقي ثابتاً على المبدأ ما أخرجه طَقْرُهُ عن مبدئه وعن قيمه، هذه الأسوة تتحقق في أن النبي صلى الله عليه وسلم ذاق كل ما يذوقه البشر فوقف الموقف الأكمل والأمثل من كل ما يجري مع البشر، فكان سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

3 - الصلاة والسلام عليه :

إذاً خمسة أمور تكسبك محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أولاً: اتباع سنته، ثانياً: قراءة سيرته صلى الله عليه وسلم، ثالثاً: الصلاة والسلام عليه:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرًا }

(رواه مسلم)

{ الْبَخِيلُ الَّذِي مِنْ دُكْرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ }

(أخرجه الترمذي وأحمد والنسائي)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

(سورة الأحزاب: الآية 56)



الله تعالى يصلي على نبيه بالرحمة
الله تعالى يصلي على نبيه بالرحمة، وبالتناء عليه في الملائكة يصلون على النبي بالدعاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ
تَابُوا وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَفِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ

(سورة غافر: الآية 7)

الملائكة تصلي عليه وتصلي علينا عندما نكون في مصلانا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: فلا تزال الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه أو كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ }

(رواه البخاري)

ما دمت في مصلاك وأنت في المسجد قبل صلاة الفجر، أو في مصلاك ولو في البيت، الملائكة تصلي عليك، أي تدعو لك عند الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

(سورة التوبة: الآية 103)

الصلاة هنا بمعنى الدعاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(سورة الأحزاب: الآية 56)



الصلاة على رسول الله نزيد من صلتنا به

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، بدأ بالأمر بنفسه، وما بدأ بأمر بنفسه إلا هنا وثى بملائكته ثم أمرنا أن نصلي عليه فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} فالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفي بها همك ويقضى دينك، تكفي همك بالصلاة على رسول الله، فنحن عندما نصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزيد من صلتنا به من هذا الامتداد الزمني والمكاني، ثم نزيد من محبتنا له صلى الله عليه وسلم، الصلاة والسلام عليه.

4 - استشعار فضله علينا :

إذا أتباع سنته، وقراءة سيرته، والصلاة والسلام عليه، رابعاً: استشعار فضله عليك؛ استشعار فضله عليك: باختصار نحن في هذا المجلس الطيب الآن وإن شاء الله ممن تغشاهم الرحمة، وتنزل عليهم الملائكة، وبيدكرنا الله فيمن عنده، هذا المجلس في صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا مجلسنا في صحيفته صلى الله عليه وسلم، لأنه بسعيه وجهاده في ثلاثٍ وعشرين سنة من بعثته إلى وفاته، هذا العمر الثمين أقسم الله به قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

(سورة الحجر: الآية 72)

(لَعَمْرُكَ) لأنه عمر ثمين، لأن ثلاثاً وعشرين سنة غيرت وجه العالم، فنحن الآن بصحيفته وبركته وبسببه من بعد الله تعالى، قد جعله الله تعالى سبباً لهدايتنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأِنَّكَ لَن تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(سورة الشورى: الآية 52)



استشعار محبة النبي الكريم لنا بكسبتنا محبته هذا يجعلك تستشعر فضله عليك، يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

(سورة التوبة: الآية 128)

يقول تعالى مخاطباً نبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ تُفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْغَدِيثِ أَسَفًا

(سورة الكهف: الآية 6)

باجع أي مُهْلِكٌ، وبجع في الأصل للناقاة أي ذبحها، أي تكاد تُهْلِكُ نفسك على آثارهم إن لم يكونوا مؤمنين، هذه رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنت عندما تنظر في هذا الفضل العظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزيد محبتك له، عندما تذكر كما في الصحيح:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ: { رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (سورة إبراهيم: الآية 36) فبكى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أُمَّتِي، أُمَّتِي، (أي ارفق بأمتي وارحم أمتي)، ثم قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ عِيسَى: { إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عُتَاذُكَ □ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سورة المائدة: الآية 118) فبكى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ اللَّهُ لَهُ جِبْرِيْلَ لِيَسْأَلَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَ: مَا يَبْكُكَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيْلَ إِذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَقُلْ لَهُ: إِنَّا سَنُرْصِقُكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ { (أخرجه مسلم)



النبي الكريم حريص على أمته

فأنت عندما تنظر في هذا المعنى، في هذه القضية، وتنظر أن النبي صلى الله عليه وسلم حريص على أمته، يبكي من أجلك، ويبكي من أجلي، فهو رؤوف رحيم بنا، فهذا مما يزيد محبتك له صلى الله عليه وسلم.

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَغْبِرَةَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ

يَكُم لَاجِفُونَ، وَوَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَا إِخْوَانَنَا قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانَتَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ نَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ حَيْلٌ عُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ طَهْرَيْ حَيْلٍ دُهِمٌ بَيْنَهُمْ أَلَا يَعْرِفُ حَيْلَهُ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ عُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْخَوْضِ أَلَا لَيَذَانَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْصِي كَمَا يُدَادُ التَّبَعِيرُ الصَّالُّ أُنَادِبُهُمْ أَلَا هَلُمَّ قِيْقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ قَأْفُولُ سَحَقًا سَحَقًا {

(صحيح مسلم)

{ لِبِتِّ أَنَا نَرَى إِخْوَانَنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي قَوْمٌ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي }

(مسند أحمد بسند صحيح)

خمسة تكسبك محبته اتباع سنته، وقراءة سيرته، والصلاة والسلام عليه، رابعاً: استشعار فضله عليك؛ تذكره وتمني رؤيته

{ مِنْ أَسَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، تَأْسُ يُكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ }

(صحيح مسلم)

والحمد لله رب العالمين